دور منهج الإسناد في نشأة علم التاريخ عند المسلمين

د. محمد صاحبي
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
جامعة وهران، الجزائر.

خلافا لما يعتقده عامة الناس،فإنّ مصطلح "التـاريخ" مـن المـصدر"أرّخ – يؤرخ" من الألفاظ الأجنبية الدّخيلة على اللّغة العربية في إطار مـا عُـرف بـ"التعريب"الّذي شهدته مرحلة ماقبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية،إذ أنه مشتق من لفظ "ARCH - أرخ " و "ARKHAIO"اليوناني الـذي يعـني القديم" أو كل ماهو قديم، سواء كان خبـرا أو شيئا،ومنه اشتُقت في اللغات اللغات الأوروبية مـصطلحات عديـدة مثـل"ARCHAIQUE" أو القـديم ،ولفـظ "ARCHEOLOGIE" أو علم الآثار،ومصطلح "ARCHETYPE" الكثير التداول في علـم النفس ، و الذي يعني "الأنموذج الأوّلي، و لفظ أرشيف وغيرهـا مـن المـصطلحات الأخرى..[1] أما مايقابل لفظ " التـاريخ " العـربي في اللغـات الأوروبيـة الحديثـة مثـل:HISTOIRE - في الفرنـسية، و STORY- HISTORY في الإنجليزيـة و"HISTORIA" في الإسبانية وغيرها، فتكاد كلها تتأرجح بين معنيين إثنين هما: الحكاية أو القصة من جهـة والتاريخ بالمعنى الوارد في اللّغة العربية من جهة أخرى.

*
* *

ومن المحتمل أن يكون للفظ "تاريخ" العربي ،الأقرب إلى معنى علم التاريخ المتداول الآن، – حيث فرّقت اللغة العربية بين مدلولي "التاريخ" و"الحكاية"- إلى ملابسات نشأة التاريخ ومنهجيته عند المسلمين في مرحلة تأسيس العلوم الإسلامية المنبثقة عن الحركة التي شهدها المسلمون خلال القرنين الهجرين الأوّلين من تاريخ الدولة الإسلامية.

لم يرتبط علم من العلوم الإسلامية كارتباط التاريخ بعلم الحديث ومصطلحاته. هذا إذا انطلقنا من بدهية أساسها أن السيرة النبوية ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلم،و أخبار هجرة المسلمين الأوائل إلى الحبشة ثم إلى يثرب. ثم بعد أو إبان ذلك، أخبار الإخباريين مثل وهب بن منبّه و عبيد بن شريه الجرهمي وغيرهما،قد هيّأت الأرضية .

التي انطلق منها المؤرخون المسلمون لتأسيس علم التاريخ..[2].

أمّا فيما يتعلّق بالمنهجية التي سارت عليها عملية كتابة التاريخ نفسه، أو الخبر التاريخي ذاته، فتقترن بما روي عن الحفّاظ الموثوق بهم، أو الّذين حفظوا ذلك في مدوّنات، وهو ما يُعرف بالإسناد، الذي اعتبر وسيلة للإجماع على صحة الخبر،وبنفس الوسيلة التي اتبعها المُحدّثون في روايتهم للحديث النبوي الشريف، ممّا يدل على أن العلمين، علم الحديث وعلم التاريخ، قد نشآ في ظروف واحدة و معطيات متشابهة وربما لنفس المقاصد. ذلك أن نشأة "التاريخ "عند المسلمين، - من خلال كتب السيرة و المغازي-، قد سلك نفس المنهج الذي سلكه علم الحديث؛ فكان الخبر التاريخي على هذا النحو يتألف من عنصرين أساسين: رواة الخبر على التتابع، و هو الإسناد، ثم نص الخبر و يسمى "المتن".

إن هذا الارتباط بين العلمين قد ترك حسب المستشرق هاملتن جب " طابعا لا يمحى في المنهج التاريخي باستخدام هذا المنهج للإسناد، و ما طرأ من تغير هائل ظهر منذ اللحظة الأولى في طبيعة الأخبار التاريخية عند العرب ودقتها المؤسسة على النقد." [3]

التحقّق والتمحيص من خلال الإسناد:

من المعروف أن اهتمام علماء الحديث بسلاسل الإسناد، كان بغرض صدق الرواة وضبطهم وحسن سماعهم،و حقيقة لقائهم بشيوخهم، وعدم انقطاع السند (علوه ونزوله)، وذلك كلّه، من أجل هدف هو الحفاظ على الحديث و السنة من كل وضع أو زيادة أو نقصان. و لم يكن هذا الأمر – الإسناد- وليد القرنين الثاني والثالث، أو من اختراع الرواة. بل هو متجذر في حياة العرب والمسلمين حتى قبل الإسلام. لكنّه تأصل أكثر،وأضحى من مستلزمات العلم عند المسلمين، مع توثيق الحديث النبوي الشريف في كافة المراحل ، وهي مرحلة التدوين كتابة، في الصحف إبّان عصر الصحابة وأوائل التابعين, ثم خلال مرحلة التدوين التي عرفها الربع الأخير من القرن الأول للهجرة (الزّهري مثلا). ثم عملية تصنيف الحديث في فصول وأبواب، التي عرفتها مرحلة طويلة ابتدأت مع ما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، وتواصلت إلى أن رتبت المادة وفق الصحابة الذين أخذوا عن الرسول عليه الصلاة و السلام، والتي أطلق عليها لفظ المسانيد [4] وظهرت في ذات الوقت أيضا، كتب الطبقات الأولى للمحدثين .. هذا وتحمل الكتب الأولى ذات الترتيب المنهجي عناوين مثل "مصنف"،و"سنن" و"موطأ" و"جامع".

أ- الإسناد في علوم الحديث:

يرجع الفضل في إرساء قواعد الإسناد إلى أبي بكر الزّهري (ت124هـ-742م)، الذي تذكر المصادر أنّه كان "أول من أسند الحديث" وأيضا "أول من دوّن الحديث".

وذلك باهتمامه بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث،و كان عليه-وهو أحد التابعين - أن يبحث عن أوائل التابعين و كذلك عن الصحابة الذين أدركوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعوا منه أحاديثه أو كانوا أصحاب هذه الأحاديث، وكان ذلك ممكنا لرجل مثل الزّهري الذي نجح في كتابة أسماء هؤلاء في نصوص وأن يجعلها تروى بعد ذلك.

أما دوره في تدوين الحديث، فالمقصود به، أنّه أوّل من أثبت الأحاديث في صورة مكتوبة. و يبدو أن مردّ إلتزام الإسناد المتصل في رواية الحديث يرجع إلى أمرين: أمر داخلي وأمر خارجي. أمّا الداخلي فمبعثه – حسبما يقرره بعض الدارسين- من نفس الراوي، ومصدره وشعوره بالتحرّج الديني، وذلك أنه ينقل كلاما من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي قال في حديثه المشهور: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النّار" ويظهر ذلك جليا فيما تحدّث عنه الخطيب البغدادي، من حيث نص الحديث وطرقه و تخريجه..[5].

وفي الإسناد المتصل ما يجعل المحدّث يطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه ثم التابعين و الصحابة يشتركون معه في تحمّل تبعة هذا الحديث و نقله، ولا يستقل وحده بحمل هذا العبء، وأن تبعته لا تعدو النقل الأمين لما سمعه عن شيخ ثقة ثبت.

وأمّا الأمر الخارجي، فمرجعه الى سامعيّ الحديث من المحدّث، وذلك ان الحديث يتضمن جزءا كبيرا من السنة، بل إنه المصدر الثاني الذي يتلو في القمة كتاب الله، و لذلك كانا من التدقيق والتحقيق، و ممّا يبعث الطمأنينة في نفوس السامعين، و يوحي إليهم بالثقة في الحديث المحدّث –أن يصل بين عصره وعصر الرسول الكريم، بسلسلة متصلة من الرواة المحدّثين، كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله حتى يصل الإسناد إلى الصحابي فالرسول. ومن أجل هذا الأمر، تحرج كثير من الصحابة ومن التابعين من رواية الحديث، كما كان الشأن مع الصحابي والخليفة أبي بكر الصديق [6].

تابع المحدّثون والعلماء بعد ذلك، الاهتمام بمنهج تدوين الحديث، القائم على الإسناد؛ والبحث عن المتون، فنشأ علم مصطلح الحديث، وطبقات الرجال، والجرح والتعديل، والتراجم، توخيا للدقة، وحرصا على سلامة الحديث و السنة من أي تحريف [7].

قال عبد الله بن المبارك، تعريفا للإسناد – وهو أحد أعلام علم الحديث-:" مثل الذي يطلب دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السّطح بلا سلم "، و قد ورد عنه أيضا:" الإسناد من الدين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء." [8] و إن كان السمعاني، في أدب الإملاء و الإستملاء، مثله في ذلك، مثل غيره من القدامى، يقسم أسباب نشأة علم الحديث إلى قسمين هما:

- مرحلة ما قبل تدوين المصنفات، وجمع الأحاديث، التي كانت قبلها، منصبة على نقل الآثار والمرويات عموما.
- مرحلة ما بعد تدوين المصنفات، بعد انقطاع مرحلة الرّواية، فإنّ الخطيب البغدادي قديما، وفؤاد سزكين حديثا، يقرران، -كما مرّ- بأن رواية الحديث، لم تكن تخل من ظاهرة الإعتماد على الوثائق المكتوبة، حتّى في بداياتها الأولى (أبو هريرة مثلا)* ؛ و إن ما نتج عن عملية التدوين وكذا التصنيف- وهما المرحلتان المذكورتان آنفا- إنما كانتا أساسا، العملية المنهجية التي أملتها ظروف نهاية القرن الأوّل الهجري و بداية القرن الثاني.

ب- الإسناد وتدوين أشعار ماقبل الإسلام:

إنّ تدوين أخبار وأشعار الجاهلية، من الأمور المتشابكة المتداخلة، سواء في الناحية الزمانية (والتاريخية) أو من الناحية العملية؛ إذ كان العالم الذي يدوّن الجاهلية أو يرويها، يذكر الخبر ثم يستشهد عليه بالشعر و يفصل القول في أنساب من يرد ذكرهم في حديثه؛ أو يذكر الشعر ثم يورد الأخبار والأنساب ما يفسره و يتصل به. ولذلك نجد كل من الإخباري أو النسابة أو راوية الشعر؛ يغرفون من نفس المعين، لكن لكل واحد منهم طريقته الخاصة في ذلك: فإذا كان نسّابة يسترسل في الأنساب، وإذا كان راوية للشعر، فتكون طريقته مخالفة للأوّل، وهكذا. فمن الصعب إذن، وضع خطوط فاصلة بين هذا و ذاك؛ و خاصة في تراث عربي ومتشابك مثل التراث العربي الإسلامي. و ليس أدل على ذلك- أي التشابك و التداخل- مما قاله ابن النديم، في بداية المقالة الرابعة المخصّصة للشّعر والشّعراء، حيث يقول: "غرضنا من هذه المقالة إن نبين عن ذكر صناع أشعار القدماء وأسماء الرّواة عنهم، ودواوينهم، و أسماء أشعار القبائل و من جمعها و ألفها" [9] .

أما علاقة ذلك كله، بما استجد على الساحة الثقافية و المنهجية خلال القرن الأول للهجرة و بداية القرن الثاني، فتكمن في المنهجية المتصلة بالإسناد في الرواية الأدبية، شأنها في ذلك شأن ما طرأ على علم الحديث بصفة خاصة. هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فإن رواية الشعر من الناحية التاريخية أسبق وجودا من رواية الحديث. ولذلك، كانت للأولى طرقها وأساليبها الضاربة في أعماق التاريخ، و لها رجالاتها من الرواة — الحملة الأساسيون لعيون الشعر- و قد يصيبهم في حفظ الشعر لمدة أجيال، ما يصيب القصاص المحترفين في رواياتهم للأخبار التاريخية.او بعبى آخر, قد يطرأ على النّص الشعري أو التاريخي تغيير ما , سواء كان هذا التغيير في الزيادة أو في النقصان. .

وبغض النظر عمّا أسفرت عنه هذه المسألة من ردود وانتقادات وشروحات، - لا يزال جزء منها عالقا بالأذهان- فإن ما يهم في هذا السياق، هو أن كثيرا من رواة الشعر

و الأدب عامة آنذاك، كانوا من رواة الحديث، وإن كانت شهرتهم بالرواية الأدبية قد طغت على شهرتهم برواية الحديث وغطت عليها. فالرواية "عند هؤلاء العلماء في القرن الثاني سواء كانت رواية حديث أم رواية أدب أو أخبار، كانت ذات إسناد يرتفع حينا الى الصحابي، و إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم – في الحديث، و يرتفع إلى من تدور عنه في الجاهلية أو إلى رجال يروونها ممّن شهدوا الجاهلية وشهدواما يروون بخاصة في الأدب والأخبار، وكثيرا ما يكون الإسناد مرسلا منقطعا في الرّوايتين كلتيهما.."[10]،ومهما يكن من أمر هذه المسألة،فإنّ الثّابت تاريخيا، أنّ الاهتمام بتراث "الجاهليين" لم يبدأ مع عصر التجميع أو عصر التدوين، كما تزعم بعض الدراسات، بل كان مع إرساء الدعائم الأولى للدولة الإسلامية بالمدينة المنوّرة؛ بحيث اعتُمد في عصر الخلفاء الراشدين، وخاصة في عصر عمر بن الخطاب، على الشّعر الجاهلي و كلام العرب في تفسير ألفاظ القرآن الكريم وفهم معانيه .

ج–المغازي والسّير وبداية المغامرة التاريخية:

لا تكمن أهمية هذه المغازي والسيرة– من الناحية المنهجية – في طابعها التاريخي المتميّز فحسب، بل تمتد أهميتها في أنها كانت مادة أساسية من مواد المفسّر، يلجأ إليها حين يعرض لأسباب نزول الآية أو للأخبار والحوادث المتصلة بها.

وإذا كان لابد من تعريف هذا الفن الجديد، أو العلم الجديد، يمكن القول بأنه تلك الكتب التاريخية الأقدم عند المسلمين التي تجمع بين الحديث والتاريخ، و يعدّ أصحابها (أي كتّابها) بالنسبة لهذا التطور، مصادر للأخبار أكثر منهم جامعون له.. ذلك أن اهتمام المسلمين بأقوال الرسول عليه الصلاة و السلام، و أفعاله، للاهتداء بها والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي، وفي النظم الإدارية، قد دفع هؤلاء الكتاب إلىالتصنيف في سيرة الرسول عليه السلام و في مغازي الصحابة رضوان الله عليهم؛ و بالأخص مع الجيل الأول منهم ...

وكان من الطبيعي، أن تكون المدينة المنورة، المكان الذي تتألف فيه هذه الحركة التاريخية بحكم أنّها عاصمة الدولة من جهة، ودار الرسول عليه الصلاة و السلام من جهة أخرى، فهي التي عرفت حياة الصحابة ومعايشتهم لبداية الدعوة وتطورها، بسماعهم لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وروايتها بدورهم إلى التابعين وتابعي التابعين.

لم تُكتب السّيرة والمغازي دفعة واحدة، أو في جيل واحد، بل سارت على نفس منوال كتابة الحديث، وما اصطحبه من تغييرات في المنهج؛ بمعنى أن أجيالا متتالية قد شاركت في صنع هذا العلم. ويمكن، على هداية ما تتيحه المصادر، تقسيم مؤرخي السيرة والمغازي، في المدينة و مكة، إلى ثلاثة أجيال، أو ثلاث طبقات.

الأولى: ويذكر فيها كل من أبان بن عثمان بن عفان (ت: 105ه)،وعروة بن الزبير(ت: 92هـ)، الذي مكّنه نسبه من أن يروي الكثير من الأخبار والأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فروى منها عن أبيه الزبير،وعن أمّه أسماء وعن خالته عائشة أم المؤمنين.. [11] وعنه، أخذ ابنه هشام، وابن شهاب الزّهري. [12] وعلى الرّغم من أن لعروة بن الزبير كتابات تاريخية خالصة حفظتها بعض كتب التاريخ، مثل كتاب الطبري (تاريخ) حيث يذكر أن عبد الملك بن مروان كان يسأله عن بعض الحوادث التاريخية، فكتب إليه يسأله مرة عن هجرة الحبشة، ومرة أخرى عن وقعة بدر وخروج أبي سفيان، ومرة ثالثة عن خالد بن الوليد و فتح مكة [13] ، فإننا نجد مستشرقا[1] هو هاملتن جب" يقول وبنوع من التحفظ: "وقد ذكرت الروايات أن أبان بن عثمان و عروة بن الزبير[2] ألّفا في المغازي، غير أن الكتاب المتأخرين لا يوردون شيئا من كتبهما." [14] والظاهر أن الذي أدّى "بجب" إلى قول ذلك، هو أنه كان يريد خلع عن عروة بن الزبير المعروف بكتاباته التاريخية (السيرة والمغازي) صفة الكاتب، ويستبدلها بصفة أخرى، هي جمع الأخبار ومروياتها شفاهة، لعدم تواجد وثائق في ذلك إبّان تلك الفترة المتقدمة؟.لكن حاجي خليفة، وبالاعتماد على النصوص التي أوردها الطبري في كتابه ، يقرّر أن عروة هو أول من صنّف في المغازي . [15]

وكان ممّا كتبه عروة: "أما بعد، فإنك كتبت إلي في أبي سفيان و مخرجه، تسألني كيف كان شأنه؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكبا، من قبائل قريش كلّها, كانوا تجارا بالشام، فأقبلوا جميعا معهم أموالهم و تجارتهم، فذكروا لرسول اله صلى الله عليه وسلم و أصحابه، و قد كانت الحرب بينهم قبل ذلك، فقتلت قتلى.." [16]

وبالإضافة إلى أبان وعروة، تذكر المصادر و المراجع الحديثة، أن شخصا ثالثا، ممن يمكن وضعهم ضمن الجيل الأول، من مصنفي المغازي، هو: "وهب بن منبه" المتوفى نحو 128 هجري. فقد وجد بيكر G.N.Becker بين مجموعة أوراق بردي Shott. Reinhurdt المحفوظة في هيلدلبرج، مجلدا يرجّح أنه يحوي قطعة من كتب المغازي لوهب بن منبه، و تاريخ نسخ هذه القطعة يرجع إلى سنة 228هـ [17].

ويكاد معظم الدارسين يرجعون، إلى وهب منبه معظم الإسرائيليات الواردة في المصادر العربية. وذلك لكونه يمنيا من أهل ذمار وأصله فارسي، الأمر الذي جعله يركز اهتمامه على أخبار اليمن.

الطبقة الثانية: و ممن يمكن وضعهم في مقدمة هذه الطبقة: عاصم بن عمرو بن قتادة

[3]الأنصاري (المتوفى سنة 120ه), الذي عهد إليه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بالجلوس في جامع دمشق ليحدث الناس عن مغازي الرسول الله، وعن مناقب الصحابة. وعليه اعتمد ابن إسحاق و الواقدوي، بعد ذلك. (18)

كما يذكر أيضا إسم عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري(المتوفى سنة 135هـ)ضمن هذه الطبقة؛ لكن أعظمهم على الإطلاق،كان ابن شهاب الزهري(ت: 124هـ)، الذي اشتهر- بالإضافة إلى مشاركته الواسعة في تدوين الحديث النبوي الشريف -بتوضيحه خطوط السيرة، وتأسيسه للمدرسة التاريخية في المدينة المنورة؛ فجمع بين الحديث والسيرة،فكان عظيما فيها.

أمّا بشأن تأليفه في شتى الموضوعات و ورعه، فتطالعنا المصادر عن أنه حينما قتل الوليد بن يزيد سنة 126هـ، حملت الدفاتر على الدواب من خزائنه، وكانت من علم الزهري. وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوما: والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر.. (19)

الطبقة الثالثة: أمّا الطبقة الثالثة، أو الجيل الثالث من كتاب المغازي، فيأتي محمد بن إسحاق بن يسار(المتوفى سنة 151ه) في المقدمة؛حيث اتخذ من أحاديث الزهري و أعماله،أساسا في سيرته المشهورة،ويرجع السبب المباشر في ذلك إلى أن ابن إسحاق كان تلميذا للزهري بالمدينة.

والظاهر أن ابن إسحاق, ذي الأصل الفارسي ,لم يكن يقصد من وراء مؤلفه، تقديم تاريخ للرّسول صلى الله عليه وسلم فحسب، بل رأى أن يقدّم تاريخا للنّبوات أيضا، إذ يبدو أن سيرته " في صورتها الأصلية كانت تتألف من ثلاثة أقسام: المبتدأ ويتناول التاريخ السابق للإسلام منذ الخليقة، وأكثره مستمد من وهب بن منبه، ومن المراجع الإسرائيلية، والمبعث، ويتناول سيرة الرسول (ص) إلى السنة الأولى من الهجرة، و المغازي، و يتناول فيها باقي السيرة إلى وفاة النبي عليه الصلاة والسلام.. وقد وجه إلى هذا الكتاب نقد قاس، لأن يشتمل على كثير من" المرويات التافهة"، و"الأشعار المنحولة"، وصار مرجعا رئيسيا لتاريخ ما قبل الإسلام وتاريخ صدر الإسلام.."(20). لكن ورغم ذلك، فإنّ سيرته، تكشف أنّه كان نتاج"وحي" أصيل، باتباعه، مثله في ذلك مثل العديد كتّاب المغازي، قواعد علم الحديث الخالص.+

أمّا محمد بن عمر الواقدي (المتوفى سنة 207ه) فتقول المصادر بأنه فاق ابن إسحاق في دقته في المادة وفي الأسلوب، مع زيادة في العناية بالتاريخ، وفي تحقيق تواريخ الأحداث، وتوضيح الإطار الجغرافي المتصل بالمواقع (21)

؛ وبتأليفه للمغازي، خطا خطوة أخرى نحو تحديد معالم مدرسة المدينة المنوّرة؛ والتي اعتمدت على عنصرين كانا متاحين آنذاك؛ وهما: علم الحديث , وما كان يروى من أخبار عمّا قبل الإسلام وبعده في فترة صدر الإسلام.

غيرأن الظاهرة البارزة في كل ذلك، أن جل جامعي الروايات التاريخية، بما فيهم ابن إسحاق و الواقدي، و حتى ابن منبه، إنما كانوا من الفقهاء و المحدّثين، أو قريبين من ذلك، الأمر الذي جعلهم يعمدون في كتاباتهم,البدء بالخليقة , مع إعطاء صورة عن تاريخ الأنبياء.

إن هذه االسمة التي تكاد تكون مشتركة بين جميع هؤلاء "الإخباريين" أو "المؤرخين" المسلمين ,أدت بالمستشرق "هاملتن جب" إلى القول "بأنها ظاهرة توحي بأن سبب الوعي (بما يكتب) أعمق مما قدّرناه. فالنظرية الدينية ترى في التاريخ صورة التجلي للفعل الإلهي في توجيه البشر، ونستطيع أن نقول أن أهل الأجيال الأولى اقتصرت نظرتهم على تتبع ذلك التجلي في توالي الأنبياء حتى خاتم الأنبياء محمد " [22] (صلى الله عليه وسلم)،وتبين أيضا أن عنصرا فكريا قد طرأ على مثقفي صدر الإسلام ومنأتى بعدهم, مثل الواقدي، هو تدوين التاريخ انطلاقا من الرغبة في المعرفة، للإحاطة بمسائل الدين والدنيا. وهو ما أكدت عليه نصوص قرآنية عديدة وآراء فقهية كثيرة..

وتواصل الاهتمام بعلم التاريخ، انطلاقا مما أسفر عنه علم الحديث، في مواقع أخرى غير المدينة ومكة. واشتهر في العصر الأموي، مؤرخون، لم يستطيعوا التنصل ممّا كتب في المغازي قبلهم. لكنهم بالمقابل، تناولوا موضوعاتهم، على وجه الخصوص، من جانب المعارك و الفتوحات الإسلامية، أي الانتقال من دائرة جغرافية أضيق إلى دائرة أخرى أكثر رحابة وشساعة. وطرأ على هذا الجانب من الكتابة التاريخية، طارئ جديد، لم يكن معروفا، فيما قبل، أو كان يعالج، بشكل أقل حدّة، هو دراسة الأنساب. وكان ذلك من النتائج الطبيعية، للطرح الحزبي والإقليمي والقبلي، الذي شهدته هذه الفترة، من الحكم الأموي..ومن أشهر الكتّاب والأخباريين في هذا الجيل, يمكن ذكرهؤلاء، على سبيل المثال:[5] أبو مخنف لوط يحيى الأزدي (ت: 157هـ) و سيف بن عمر الأسدي (ت : 180هـ) اللذين استطاعا، أن يؤسّسا مدرسة تاريخية قائمة بذاتها، سماها الدارسون: بمدرسة البصرة والكوفة.

لقد عني الأول (أبو مخنف) بكتابة الأحداث التاريخية العامة في الإسلام كالردة، والفتوحات، ومواقع الجمل وصفين، ومقتل الحسين، وعن الأزارقة والخوارج، وذلك بجانب اهتمامه بالأنساب لكنه بالإضافة إلى ذلك كلّه، "يعدّ الأخباري الشيعي الوحيد

الذي تأثر بالمفهوم القائل بأن الحكومة الإلهية مستمرة في الأئمة"[23] وذلك على عكس الإخباريين السابقين من أمثال الواقدي، ومن أجل ذلك قصّر اهتمامه على تاريخ الحركات الشيعية في الكوفة.[6]

أما الثاني (وهوالأسدي) فيظهر أن أخباره قد اتسمت في الفتوحات، و خاصة فيما كان منها متعلقا بالعراق بميول واضحة المعالم لقبيلته و تعصب ظاهر لها.[24]

تكمن الأهمية التاريخية لما كتبه أخباريو مدرسة البصرة والكوفة، إجمالا، في أنها قد عكست صورة واضحة لما كان يحدث من صراعات عقائدية وقبلية بالمجتمع الإسلامي آنذاك؛ وأن هؤلاء الأخباريين، الذين رووا عنهم آخرون مثل هشام الكلبي، قد استعانوا، بالوثائق التي كانت متواجدة بدمشق أو بالعراق؛ وهو الأمر الذي يرجح، حسب — هاملتن جب- أن يكون المصنفون المتأخرون قد أخذوا من هذه الوثائق و الأخبار، الإطار الزمني الدقيق بما فيه من قوائم أسماء الولاة وأمراء الحج وغير ذلك...

من المؤرخين الذين كان لهم باع طويل مع الأخبار و الأحداث، التي أصبحت فيما بعد، تشكل مادة التاريخ الإسلامي: البلاذري (أحمد بن يحيى، المتوفي عام 279)، ثم الطبري (محمد بن جرير، المتوفي عام 310ه).

غرف عن الأول طابع كتابته الموسوعية في سرد الأحداث؛ و هي بذلك أقرب إلى "الموسوعة"، منه إلى التاريخ بمفهومه الاصطلاحي، و يُمثّل نموذجان من كتابته (فتوح البلدان، و فتوح الشام) عينه من هذا الطابع الموسوعي.[25] أمّا الطّبري (صاحب تاريخ الرسل والملوك)، فقد كان في الأصل محدّثا و"أراد ان يكون تاريخه تكملة لتفسيره الكبير للقرآن الكريم، ولهذا أورد الروايات التاريخية بنفس الوضوح والتدقيق والتحرّي الذي اتسم به التفسير".[26]

وعلى كل حال، فقد استطاع علم الحديث، من خلال منهجيته الصارمة، وأخبار المحدّثين و رواياتهم، توجيه الأعمال التاريخية سواء في السيرة أو في المغازي أو في الأخبار، توجيها حقيقيا، ولولا ما أسفرعنه الحديث و إشكالياته ن منذ صدر الإسلام، لما استطاع المسلمون ابتكار علم التاريخ.[7]

د- الأخبار والإخباريون أو تأسيس علم التاريخ:

يمكن استخلاص ممّا سبق أن انبثاق العلوم الإسلامية،من حديث ووفقه وسيرة،كان النتيجة المنطقية لواقع المجتمع الإسلامي الجديد,الذي خلع على نفسه طابعا تميز بدينامية وحركةغيرعاديتين؛ فأصبحت هذه العلوم بحق علوما إسلامية، شكلا ومضمونا، منهجاو تناولا.

ولقد أسهمت هذه الوضعية غير العادية- و التي اتسمت في أغلبها بطابع التأسيس- في نشأة علوم وفنون أخرى، ما كان لها أن توجد بالشكل والمضمون، الذين ظهرت بهما أثناء ذلك، لولا هذه الوضعية الاستثنائية. أو بمعنى آخر، إن ظروف نشأة العلوم الإسلامية، قد أسهمت بشكل مباشر في ابتكار علوم وأعادت تشكيل وبناء ونشأة "فنون" مثل "الأنساب" ضمن سياق وحدود وأهداف مختلفة عما كانت عليها في السابق.(27)

والحقيقة أن أمر هذا التقنين أو هذا "التقعيد"، و ان كان طابعا عاما شمل كافة النشاط العقلي والفني عند المسلمين، فإنه لم يشمل ما اصطلح على تسميته "بالأخبار" والخاص بفترة ما قبل الإسلام. ذلك أن أمورا وقضايا أخرى موضوعية وذاتية، أملتها ظروف الإنتقال من شكل نظام حكم – هونظام الحكم القبلي إلى شكل مغاير تماما- ؛أدت إلى النظر إلى ما قبل الإسلام بنظرة يشوبها نوع من الشعور المتناقض.فهو تارة مناقض لمشروع المجتمع الإسلامي الجديد ، وتارة أخرى يستأثر بالإعجاب.

ومهما قيل عن ذلك، سواء بالسلب أو بالإيجاب، فإن هذا الفن"الأخبار" قد كان متداخلا، متشابكا في تدوينه إذ أن العالم الذي كان يدون الجاهلية أو يرويها، كان يذكر الخبر، ثم يستشهد عليه بالشعر، و يفصل القول في أنساب من يرد ذكرهم في حديثه، أو يذكر الشعر ثم يورد من الأخبار والأنساب ما يفسره ويتصل به.

يقول جواد علي: "لقد وفق المؤرخون في كتابة تأريخ الإسلام توفيقا كبيرا من حيث العناية بجمع الروايات و الأخبار واستقصائها، وفي رغبتهم في التمحيص. أمّا التاريخ الجاهلي فلم يظهر مقدرة في تدوينه. بل قصّروا فيه تقصيرا ظاهرا ,فاقتصر علمهم فيه على الأمور القريبة من الإسلام، على أنّهم حتّى في هذه الحقبة لم يجيدوا فيها إجادة كافية.."(28)

ويرجع سبب عدم هذا التوفيق، إلى انصراف المسلمين، نحو كتابة السّيرة و المغازي ، واستثمار أخبار الجاهلية فيها، بما يخدم مواضيعها، إذ فصلوا القول في نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخبار مكة وقريش ومن يتصل بهما من أفراد و قبائل. وكانت هذه الكتب التاريخية في السيرة والمغازي، تشتمل على كثير من الشعر الذي قاله الجاهليون الخالصون والشعراء الجاهليون المخضرمون . ولم يكن كتاب السيرة والمغازي، من أمثال ابن إسحاق، يلامون على ذلك، لأن طبيعة كتابتهم، كانت ذات صلة بالإستراتيجية التي رسمتها أفكار التدوين و قضاياه.

في حين أن الكتابة عن تاريخ الجاهلية، سواء مما ترسب في ذاكرة المعمرين من أخبار، أو مما جاءت به بعض الوثائق المدونة (؟..) نظر إليها بعين من الازدراء و الرفض؛ فأصبح

لكلمة مؤرخ (أخباري) معنى سيئ، بل أصبحت صفة لصيقة بابن الكلبي –ممثل هذا الاتجاه في الكتابة التاريخية– كما ألصقت بكل عالم تجرأ على البحث في تاريخ العرب قبل عام الفيل.[8]

لكن لم يهاجم أحد من المؤرخين بعنف كما هوجم ابن الكلبي، "والرّاجح في ذلك انصرافه لدراسة الأشياء التي قرر الإسلام طمسها، أعني بذلك الديانات والطقوس الوثنية في بلاد العرب.."[29]

ومن السبب الديني المباشر، الذي حال دون استساغة هذا النوع من التدوين التاريخي، يذكر بعض الدارسين المعاصرين و المستشرقين، أن الصورة الواسعة التي تفصل بين السيرة و المغازى ذات التواريخ العلمية الدقيقة نسبيا من جهة، و بين الأخبار العربية، ذات الروايات الشعبية الأسطورية، الواردة عن بلاد العرب قبل الإسلام، من جهة أخرى، كانت من الأسباب العلمية والمنهجية، التي هددت المؤرخين القدامى، من اعتمادها اعتمادا علميا.

غير أن هذا الازدراء، بدأ مع مرور الوقت في التلاشي، إلى أن أدخله المؤرخون من الأجيال المتأخرة، في كتاباتهم، كما هو الشأن عند ابن خلدون وغيره. وأصبحت هذه الأخبار الآن، هي كل ما يمكن أن نعرفه عن حقيقة ما قبل الإسلام..

أمّا علاقة ذلك كلّه، بما تأسس من علوم إسلامية، كالحديث مثلا، أن الأخبار والأنساب وغيرهما، فقد جاءا كعلمين "جديدين" في الساحة الثقافية، في نفس ظروف نشأة علم الحديث المنهجية و الفكرية؛ وفي إطار ما عرف اصطلاحا، بالتدوين والتصنيف. وكان لزاما و الحال بتلك الصورة، ان يحذو الأخباريون حذو المحدثين(أصحاب الحديث) في البحث عن الأخبار، من صدور الرجال؛ والرجوع إلى الأعرابي أحد "صانعي التاريخ الثقافي العربي"، وذلك باتباع ما أسسه المحدثون في قضية الإسناد بغية إعطاء مصداقية لما يكتبون.

ويمكن الإشارة هنا، إلى أن المعطيات السياسية، قد كان لها الدور الفعال– كما سنبينه لاحقا– في التركيز على موضوعات بعينها، والتفتيش عن "الحقائق" التاريخية ضمن ما كان متواترا، في الكتب المقدسة، وشروحات أهل الكتاب من يهود ونصارى..

ويكاد يرجع سبب ذلك، إلى ان معظم الأخباريين المعروفين، كانوا من أصل يهودي أو نصراني؛ الأمر الذي أضفى على كتاباتهم طابعا خاصا، تميز بالجمع بين الثقافة اليهودية والنصرانية و الفارسية ثم الإسلامية. وليس أدل على ذلك، مما عرف عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي (114ه–210ه)،الذي يقول عنه ابن النديم أنه كان يهوديا من جروان أو من أهل فارس، أعجمي الأصل، نسّابة، يطعن في أنساب العرب، يقول ابن

النديم: "حدثني أبو الكويمي و أبو العيناء. قال رجل لأبي عبيدة: يا أبا عبيدة قد ذكرت الناس و طعنت في أنسابهم، فبالله ألا تعرفني من كان أبوك؟ و ما أصله؟ فقال: حدثني أبي أن أباه كان يهوديا ببا جروان.." [30]

ويعتبر أبو عبيدة - مثله في ذلك مثل العديد من الإخباريين- ذا ثقافة واسعة، كتب في النّحو و الخيل، و أخبار العرب و أنسابهم و قبائلهم و أيّامهم. ولقد اهتم ببلاد العرب الشمالية, ولذلك و نتيجة لتعدد مواهبه، يمكن اعتباره أخباريا ونسّابا، كما يمكن وضعه ضمن اللّغويين والنّحويين، كما قام بذلك ابن النديم في الفهرست,حيث وضعه أيضا ضمن اللّغويين.

كما اشتهر من الأخباريين أيضا، عبيد بن شريه الجرهمي اليمني،ووهب بن منبه، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي. [31] فأمّا الأوّل، فمختلف في أصله، مرة هو من أهل صنعاء، وأخرى من الرقة ببغداد؛ و الأرجح أنّه من صنعاء اليمن حسب ابن النّديم. كان قصاصا أخباريا استحضره معاوية بن أبي سفيان ،و أمره أن يدون لـــه أخبار العرب وملوكهم . ومن كتبه المشـــهورة " كتاب الملوك وأخبار الماضيين (مطبوع- حيدر آباد، 1928) و كتاب الأمثال. [32] أما وهب بن منبّه، فتذكر المصادر أنّه كان أيضا يمنيا من أهل (ذمار) وقيل أيضا أنّه كان يهوديا ثم أسلم، الأمر الذي أدّى بإرجاع كل الإسرائيليات المنتشرة في المؤلفات العربية إليه.

وقد زُعم أنّه كان ينقل من التوراة ومن كتب بني إسرائيل وأنّه كان يقول :" قرأت من كتب الله اثنتين وسبعين كتابا" وأنه كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية، ويحسن قراءة الكتابات القديمة الصعبة التي لا يقدر أحد على قراءتها. [33]

ومن الكتب المنسوبة إليه " كتاب الملوك المتوجة من حمير و أخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، وقد وصلت أجزاء منه في كتاب " التيجان" لعبد الملك بن هشام. وعلى الرغم من النقد الموجه إلى الكتاب، باعتباره يفتقد إلى الحس التاريخي وطغيان العنصر الأسطوري والخرافي، والاعتماد على الإسرائيليات، فقد اعتمد عليه المؤرخون ، اعتمادا كليا، وأدخلوه كتبهم "حتى الطبري الذي يعد فريدا في ميدان التأليف الديني، استمد في تفسيره الكبير للقرآن كثيرا من أقاويل وهب بن منبه.." [34]

هذا عن وهب بن منبه، وعبيد بن شرية، اللّذين اتسمت كتابتهما، حسب المؤرخين والدارسين من أمثال :ابن خلدون وهاملتن جب، وجواد علي بعدم الدقة، والاعتماد على الإسرائيليات. فماذا عن الأخباري الآخر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي؟ إنه لا يعتبر من أعظم الأخباريين في تاريخ العرب في الجاهلية وحسب بل هو من الذين اعتمدوا في كتابتهم، على الأصول و المصادر التاريخية، التي كانت متوفرة في عصرهم، من رواية

ووثائق، فكان منهجه أقرب إلى منهج المؤرخين منه إلى الأخباريين.

لقد تخصص هشام الكلبي في جمع أخبار "الحيرة"، حتى أن ابن النديم يذكر له كتابين عن ذلك، من بين المائة والأربعين كتابا ألفها في تاريخ العرب قبل الإسلام, [35] تنوعت مواضيعها، من كتب حول أخبار الأوائل مثل كتاب حديث آدم وولده إلى أخرى حول أخبار الشعراء و أيام العرب مثل كتاب المنذر ملك العرب وكتاب مسيلمة الكذاب وسجاح.. .

وعُرف إلى جانب هؤلاء الأخباريين- المؤرخين، أيضا، جمع من الكتّاب اتسمت مؤلفاتهم بالاتساع، ودقّة التّعاريف، ومعرفة كبيرة بقبائل العرب، يمكن ذكر أنموذج منهم، هو ابن الحائك الهمذاني (أبو محمد الحسين بن احمد بن يعقوب) الذي ساعدته معرفته بخط المسند الحميري على قراءة الكتابات الأثرية، والنقوش التي شاهدها في المواضع التي ارتادها. ومن أهم مؤلفاته "كتاب الإكليل" الذي يقع في عشر مجلدات لم يصل منها سوى الجزءان الأولان، والجزءان الثاني والعاشر .. [36] .

وهكذا عرفت الكتابة التاريخية — من خلال الأخبار والأخباريين- دفعة قوية نحو معرفة ماضي الجزيرة العربية، تاريخيا وجغرافيا (الجغرافية التاريخية). وما كان ذلك أن يتم، لولا إيعاز كتب المحدثين ومنهجياتهم ، والمؤرخين وسيرهم، ورأي المعارضين ونقدهم. بل إن ما كان يعتمل داخل الثقافة العربية الإسلامية آنذاك، من قضايا وإشكاليات وتساؤلات جوهرية، حول الإنسان وماضيه، وما طرحه الدين الجديد من قضايا جديدة على المجتمع، كان ذلك كله حافزا قويا على التدوين التاريخي والعلمي عند المسلمين بشكل عام.ومن ذلك، ما تحقق للأنساب. هذا الفن، الذي كان له علماؤه ومختصوه قبل الإسلام. بل ان كل قبيلة أو منطقة من مناطق الجزيرة العربية كان لها نسابوها. وقد كانت لهم,كما هو معروف، مكانة مرموقة في المجتمع آنذاك..غير أنّه تجدر الإشارة هنا، أن النسابة — وكما سبق الإشارة الى ذلك- كان الى جانب معرفته الواسعة بأنساب العرب وغير العرب في الجزيرة، عالما بأخبارها وأساطيرها وأشعارها .ولذلك، يصعب التفريق بينه وبين الأخباري في هذا الشأن.

وكما كان متوقعا، من تطور في شتى الجوانب، بعد الإسلام، أدرك الخلفاء رضي الله عنهم، وخصوصا عمر بن الخطاب أهمية تدوين الأنساب ،و ذلك لموقعها في سلم المعارف عند العرب قاطبة، فضلا عن أن الحاجة الجديدة التي أفرزها الواقع الإسلامي الجديد، مثل تحديد مكانة المسلمين حسب دورهم في نصرة الدعوة الإسلامية، أدت بالخليفة عمر، الى تحديد المكانة المالية في العطاء.

ولقد اشتهر في ذلك، ثلاثة من نسّابي قريش هم: جبير بن مطعم بن عُدي القرشي، و عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف الهاشمي، ومخرمة بن نوفل بن أهيب الزّهري القرشي [37] كان، قد كلفهم الخليفة عمر بن الخطاب بوضع جدول عام بالأنساب للفرق المذكور آنفا. [38]

ويُعزى إلى هؤلاء، وغيرهم، القيام بإعادة تأسيس علم الأنساب وفق التعاليم الدينية الجديدة. والمساهمة الى جانب الأخبار والأخباريين، و ما ألّفه كتّاب السّيرة والمغازي، في تطوير التدوين التاريخي عند المسلمين.

ولم يتوقف تأثير منهج الإسناد في تأسيس وبلورة العلوم الإسلامية فحسب بل كان له الفضل في خلق نوع من العلوم أو الفنون ، لم تكن معروفة عند المسلمين أو غيرهم من الأمم آنذاك، وهي تلك المتصلة بالكتب والبحث الوثائقي، المعروفة الآن بعلم البيبليوغرافيا. وقد كان الأصل في ذلك هو برامج الشيوخ أو فهارس العلماء..

هذا النّوع من الكتب، يرتدّ بوجوده إلى علم الحديث، و يحتفظ ببعض مصطلحاته وأساليبه، إلاّ أنه استقل عنه، وتفرّد بطابع خاص، يكمن في إسناد المرويات إلى العلماء والشيوخ. أي أنّ الهدف هو غير الهدف الذي وُجدت من أجله، كتب المُحدّثين الأوائل، الذين يسندون أحاديثهم إلى الرّواة الذين نقلوا عنهم. فالمرويات لم تعد كما كانت في السابق محصورة في الأحاديث النّبوية الشريفة وأسانيدها، بل تعدّتها إلى كل أنواع المرويات الأخرى، في علوم الدين واللّغة والأدب أو غير ذلك من أنواع "المرويات"..

وفي الختام يمكن القول أن التاريخ- مصطلحا ،علما و منهجية- قد نشأ في تربة إسلامية، إذ لولا ما طرأ على حياة المسلمين في بداية تأسيس الدولة، من فكر وسلوك جديدين (الإسلام) ومنهجية صارمة (إسناد وجرح وتعديل) في نقل الخبر، سواء كان حديثا نبويا شريفا أو خبرا تاريخيا، ما استطاع المؤرخون العرب والمسلمون أن يُبدعوا في هذا العلم. على الرّغم ممّا أخذه الدارسون على هذا العلم من مآخذ، و خاصة العلاّمة ابن خلدون (8 هـ-15م)، عندما ربط بين النقل الصحيح للخبر التاريخي وبين الفطنة والقياس والعقل وما شابه ذلك.. وهي الأدوات الأساسية المعتمدة في الكتابة التاريخية المعاصرة.

هوامش وتعاليق :

(1) Hachette Encyclopédique, PARIS:HACHETTE LIVRE, 1997.P.102. ؛ بالإضافة إلى هذا المصدر ، يمكن الرجوع إلى: قاسم عبده قاسم في كتابه ، الرؤية الحضارية عند العرب و المسلمين. القاهرة: دار المعارف، 1977، ص.ص: 15-22. أو إلى ما كتبه كل من برنار لويس في "العرب في التاريخ" و لويس غاردي louis GARDET في " LA cité musulmane .PARIS :1969.

(2) وعلى أساس ذلك يؤكد الدارسون أن مكة المكرّمة و المدينة المنوّرة كانتا المركز الرئيسي لنشأة هذه الحركة التاريخية.

(3) هاملتن جب، دراسات في حضارة الإسلام. ط.3،دارالنهضة، بيروت 1964،ص147.

(4) مثل "الموطأ "للإمام مالك ،و " الجامع الصحيح" للإمام مسلم و غيرهما.

(5) الخطيب البغدادي، تقييد العلم.تح.يوسف العش.دمشق:المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1949، ص29-31.

(6) للمزيد من المعلومات راجع: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي.ط.6، دار المعارف بمصر،القاهرة،1982،ص. 258.

(7) السمعاني (تاج الدين أبو سعد)، أدب الإملاء والإستملاء،دار الكتب العلمية، بيروت 1981. من ص4-10.

(8) المصدر السابق ، ص6.

(9) * سأل بشير بن نهيك الصحابي أبا هريرة عن جواز روايته باسمه للكتاب'الذي نسخه عنه فوافقه أبو هريرة على هذا، قال بشير:" كنت كتبت عن أبي هريرة كتابا، فلما أردت أن أفارقه قلت: يا أبا هريرة، إني كتبت عنك كتابا، أفرويه عنك؟ قال نعم:. الخ...) راجع في ذلك: ابن عبد البر، جامع بيان العلم/ ج1.ص74.).

(10) ابن النديم، الفهرست،دراسة وتحقيق شعبان خليفة ، العربي للنشر، القاهرة 1991، 1،ص.289.

(11)ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص255. (لقد ذهب جلّ الباحثين الذين تطرقوا الى هذا الأمر، بأن رواة الأدب، قد تأثروا برواة الحديث في طريقة الإسناد، و نسجوا على منوالهم.و من هؤلاء على سبيل المثال: عاصم الأعور المتوفى سنة 142هجري.)..

(12)أحمد أمين، ضحى الإسلام.ط.10 دار الكتاب العربي بيروت ،1969، ج2، ص321.

(13)عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق بيروت، 1986 ، ص30.

(14)ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص149.

(15)هاملتن جب، دراسات في حضارة الإسلام ، ص147.

(16)حاجي خليفة،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج2،دار المثنى بغداد:،د.ت، ص 235.

(17)الطبري،تاريخ الرسل والأنبياء،دار المعارف القاهرة، 1967،ج2، ص1284؛ ناصر الدين الأسد، مرجع سابق، 149..

(18)نفسه ، ص150

(19)عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص20.

(20) ابن خلكّان،وفيات الأعيان،ج1،ص 602.

(21)هاملتن جب، مرجع سابق،ص148.

(22)عبد العزيز الدوري، مرجع سابق، ص30.

(23)هاملتن جب، مرجع سابق، ص152.

(24)نفسه، ص153.

(25)أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2، ص323.

(26)تتلمذ البلاذري، على ابن سعد، والمدائني، راجع في ذلك عبد العزيز الدوري مرجع سابق، ص110، و هاملتن جب، مرجع سابق، ص154-155.

(27)هاملتن جبن،مرجع سابق، ص156،ووجاك بيرك، في المرجع السابق، (مقدمة ترجمة "التاريخ") إلى الفرنسية، ص20.وقد ظهر في نفس الفترة مؤرخ آخر هو المسعودي(ت 346 ه) صاحب مروج الذّهب ، الّذي أعطى للكتابة التّاريخية بعدا إنسانيا تجاوز فيه تشيّعه وقناعاته الفلسفية ..

(28)بدأ الواقع الثقافي في مرحلة التأسيس هذه في الانتقال من طور الرواية والشفوية، إلى طور التدوين، القائم على استراتيجية "التقعيد" أي وضع ضوابط و قواعد لكل علم وفن...

(29)جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت:دار العلم للملايين،بغداد:مكتبة النهضة، 1968، ج1، ص107.

(30)المصدر انفسه، ص86- 87. و يكمن هذا الازدراء عند المسلمين، من رغبة الإسلام في استئصال كل ما يمت بصلة إلى أيام الوثنية في الجزيرة العربية، مستدلا بحديث: "الإسلام يهدم ما قبله." راجع ذلك أيضا في "مصادر الشعر الجاهلي" لناصر الدين الأسد، ص152. وهاملتن جب، في دراسات في حضارة الإسلام،

(31)ابن النّديم، الفهرست.ج1 ص86. (و مع أن أبا عبيدة، كان أخباريا و نسابة مشهورا، ألف في مثالب العرب، لشعوبيته، الا أن ابن النديم يضعه ضمن اللّغويين و فصحاء العرب في المقالة الثانية من الكتاب، الفن الأول. و يذكر له أكثر من مائة كتاب، منها: كتاب مجاز القرآن، تحقيق فواد سزكين؛ كتاب الشعر و الشعراء (مخطوط، بيروت، نقل عنه لويس شيخو في شعراء النصرانية.) و كتب أخرى مثل: كتاب الأوس و الخزرج و كتاب مقتل عثمان، و كتاب اللغات، و غيرهه...

(32)أدرك الأوّل النّبي (ص) و لم يسمع منه شيئا ,و عاش إلى أيام عبدالملك بن مروان.أما هشام بن السائب فتوفي 106ه .ابن النديم , الفهرست ج1.ص 168.

(33)إبن النّديم ,المصدر السابق، ص158.

(34)جواد علي، المصدر السابق ص84. (قا
المسعودي، في مروج الذهب، ج3- ص167. ع
إجادته قراءة الأقلام القديمة: "لما أبتدأ الوليد بن
مسجد دمشق، وجد في حائط المسجد لوحا م
حجارة فيه كتابة باليونانية، فعرض على جماعة م
ـــهل الكتاب، فلم يقدروا على قراءته، فوجه به إ
وهب بن منبه فقال: هذا مكتوب في أيام سليمان
داو ود عليهما السلام، فقرأه."

(35)هاملتن جب، دراسات في حضارة الإسلا
ص144- جواد علي- المصدر السابق؛ ص87.
يضيف جب عن إدخال ابن خلدون لبعض ما جاء
كتابات وهب بن منبه: "صحيح ان ابن خلدون يش
الى سخف بعض الأساطير اليمنية، و لكنه مع ذلك
يستشهد بتلك الأساطير ذاتها لإثبات نظريته.."

(36) كتاب الحيرة وتسميته البيع و الديارات و نس
العباد- كتاب الحيرة. راجع الفهرست، من ص57
إلى ص173.

(37)راجع ذلك: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العر
في عصر الجاهلية. ص36.

(38)ابن سعد، الطبقات. ج3, ص296.

(39)راجع ذلك في:مقدمة ابن خلدون.بيروت:
العودة، 1981، ص.ص:7- 9.